ملخّص برنامج بانوراما الرجعة العظيمة - الحلقة 58 / عبد الحليم الغزّي
امامة فاطمة صلوات الله عليها ج10
قيمومة فاطمة صلوات الله عليها ق2
المفردة 2 : سورة القدر الفاطمية
الاثنين : 29/شوال/1446هـ - الموافق 28/4/2025م

"**إمامةُ فَاطِمَةَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهَا**"، زُبدةُ هذا البرنامج، الجزءُ العاشر.
وصلتُ إلى الجهة الثَّانية من حَديثي في هذا الموضوع "قَيمُومةُ فَاطِمَة"، والَّتي هي في الحقيقة الوَجْهُ الفعليّ لإمَامَتها، حَديثُنا عن قَيمُومَة فَاطِمَة هُوَ هُوَ بنفسه حديثٌ عن إمَامَتها، لكنَّهُ حَديثٌ من جِهة من الجهات القَيمُومةُ الفَاطِميّةُ هي الوَجْهُ الفعليّ لإمَامَة فَاطِمَة صَلَوَاتُ اللَّه وَسَلامُهُ عَلَيْهَا.
هُناك مُفرداتٌ ترتبطُ ارتباطاً وَثيقاً بِعُنوانِ القَيمُومَة:
- صَحائفُ الإمَامَة الإلهيّة المختُومَة..
- سورةُ القَدْرِ الفَاطميّة.
- حَديثُ الكساء اليَمانيّ الفَاطميّ.
- الألواحُ الإلَهيّةُ السَّماويَّةُ الفَاطميّة.
- المصحفُ الإلهيّ الكونيّ الفَاطميّ المعروف بمصحف فَاطِمَة.
مرّ الكلامُ في المُفردة الأولى في العُنوان الأوَّل؛ "صَحائفُ الإمَامَة الإلهيّة المختُومَة"..
المُفردَةُ الثَّانية الَّتي سأتناوَلُها في هَذه الحَلقَة: سُورَةُ القَدْر الفَاطميّة.
هذه سُورةُ فَاطِمَة، سُورةُ القَدْر بعبارَة وجيزة هي أوضحُ وَثيقَة على استمرار ودوام قَيمُومَة فَاطِمَة، فليلةُ القَدْر لَيلةٌ كَانَت فيمَا مَضى وهيَ هيَ فيمَا نَحْنُ فيه وستبقى مُستمرّةً إلى اليوم الثَّالث من أيَّام اللّه إلى يوم القيامَة الكُبرى، ليلةُ القَدْر ليلةٌ كائنةٌ فيمَا مَضَى من الزَّمان مُنْذُ بداية الخَلْق، وحينما نتحدَّثُ عَن تَأريخ ديننا فإنَّ ليلة القَدْر كَانَت مَعَ رَسُول اللّه واستمرت إلى هذه اللَّحظة وستستمرّ عبر زَمان الغَيبة وعبر زَمان الظُّهور وعبر زَمان الرجعة العَظيمة، وهكذا إلى القيامَة الكُبرى، وعبرَ كُلِّ هذا الزَّمان فإنَّ القَيمُومَةَ الفَاطِميَّةَ ثابتةٌ في كُلِّ المراحل الَّتي أشَرْتُ إليها، ولا زَالَت ثابتةً، وسُورةُ القَدْرِ هي الَّتي تُحدِّثُنا عَن هذه الحقيقَة..
وبالمناسبة فإنَّ ترتيبَ السُّوَرِ الَّذي هُوَ في المُصحف الَّذي بينَ أيدينا أنَّ سُورَة القَدْر تأتي قَبلَ سُورة البَيِّنة، فَسُورةُ البيِّنة في ترتيبِ المصحف تأتي مُباشرةً بَعْدَ سُورة القَدْر، وسُورةُ البَيِّنة هي الَّتي تَشْتَمِلُ على الآيَة الخَامسة بَعْدَ البَسمَلَة والَّتي يأتي في آخرها ﴿**وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾.
حينما نتحدَّثُ عَن سُورَة القَدْر فإنَّ أبرزَ عُنوانٍ في سُورة القَدْر: (لَيلَةُ القَدْر)، وحينما نسألُ العِتْرَة الطَّاهِرَةَ عَن دَلالة هذا العُنوان يقُولُونَ: إنَّها فَاطِمَة صَلَوَاتُ اللَّه وَسَلامُهُ عَلَيْهَا..
هذَا العُنوانُ: (لَيلةُ القَدْر)، لُغةً، عُرفاً لُغويّاً، أدَباً، عُرفاً أدبيّاً، عُنوانٌ زمانيّ، وهذا يأخُذُنا إلى التَّدبُّرِ والتَّفَكُّرِ والتَّبصُّرِ في معنى الزَّمان، سُؤالٌ مُهِمٌّ: مَا هُوَ الزَّمَان؟!
التعاريفُ كثيرةٌ، لكن إلى هذه اللَّحظة لم يُدرك الإنسانُ كُنْهَ الزَّمان، تَحدَّثنا وتَحدَّثَ الآخرون وتحدَّثت البَشريَّةُ عبرَ تأريخها عَن الزَّمان، لكنَّ الكلامَ كُلَّهُ يقعُ في حاشيةِ الموضوع.
موضُوعٌ مُعقَّدٌ جِدّاً وأنا لا أريدُ أن أخوضَ في هذه المطالبِ فَهيَ ليست من شَأني وليست من اختصاصي، إنَّما أتحدَّثُ وِفقاً لِمَا جَاءَ في قُرآن العِتْرَة ومَا جاءَ في حَديث العِتْرَة صَلَوَاتُ اللَّه عَلَيْهَا:
أنا وأنتُم المَخلوقات أكانَت هذه المخلوقاتُ ماديَّةً صرفة، أم كانت مَعنويَّةً صرفة، أم كانت برزخيّةً ما بينَ المادَّة والمعنى، أم كانت من سنخيَّة أُخرى نَحْنُ لا نعرفها، فهذا الوجودُ هُناكَ مَا تَحْتَ العَرش وهُناكَ مَا فَوقَ العَرش، نَحْنُ مُنقَطعونَ انقطاعاً كاملاً عمَّا فوقَ العَرش، ما تَحْتَ العرش أَخْبرنا عنه، ما فَوقَ العرش أخبرنا عَن وجُوده فقط، أمَّا التَّفاصيلُ فلم تَصل إلينا، أَخْبرنا إجمالاً، هذه المطَالبُ واسعةٌ مُعقَّدةٌ ولكنَّني أقولُ بالإجمال:
فَكُلُّ هذه الكائنَات لن تتحقَّقَ إلَّا أن تكونَ مَسبوقةً بالمكان، لأنَّنا جميعاً نحتاجُ المكَان، من دُونِ المكانِ أين نكون؟! وحينما أُحدِّثكم عَن المكان أنا لا أقصدُ المكانَ بالمَعنى العُرفي، إنَّهُ المكانُ الَّذي نَجلسُ فيه، هُوَ صحيحٌ هذا جزءٌ من المكان، لكنَّنا قد نَرى هذا الَّذي أمَامَنا حيثُ تَتحرَّكُ يَدي نراهُ فراغاً، لا يُوجدُ في الكونِ فراغ، هذا مكانٌ، هذا الَّذي تتحرَّكُ فيه يَدي هذا هُوَ المكان، وهذا مملوءٌ على الأقلِّ مملوءٌ بالهواء، والهواءُ مملوءٌ بالكائنات وبالمواد المختلفة، وهذا الَّذ ي يُسمَّى بالفراغِ مملوءٌ بكائنات كثيرة جِدّاً، على الأقلِّ نحنُ نَعرفُ الملائكة ونَعرفُ الجنَّ ونَعرفُ من هَذه العناوين الكُلُّ يتحركَونَ في هذا المكان، نَحْنُ لا نستطيعُ أن نَتصوَّرَ الأشياءَ من دُونَ أن تَكونَ مَسبوقةً بالمكان، سُبحانَهُ وتعالى خَلَقَ المكانَ قبلَ أن يَخلُقنا، من دُونِ المكانِ أينَ نكون؟! (**كَانَ اللَّهُ سُبحانَهُ وَتَعَالَى وَلَم يَكُن مَعَهُ شَيء**)، لَم يَكُن مَعهُ شَيءٌ مُطلقاً، كانَ مُتفَرِّداً بوحدانيّته وأحديَّته، (**ثُمَّ خَلَقَ الْمَشيئَةَ بِنَفسِهَا**)، كيفَ كانَ ذلك؟ لا علمَ لنا بالموضوع، إنَّهُم أخبرونا، ولا نستطيعُ أن نَتصوَّرَ الموضوع، إنَّما هُو تَصوُّرٌ إجماليٌّ فقط، لابُدَّ مِنَ المَكان، الاسمُ الأعظَمُ، المَشيئةُ، الحقيقةُ المُحَمّديّةُ العُظمى أينَ مَكانُها؟
(**وَبِاسْمِكَ الأَعْظَمِ الأَعْظَمِ الأَعْظَمِ الأَعَزِّ الأَجَلِّ الأَكْرَمِ الَّذي خَلَقْتَهُ فَاسْتَقَرَّ فِي ظِلِّكَ فَلَا يَخرُجُ مِنْكَ إِلَىٰ غَيرِكَ**)، لا نَعرِفُ أيَّ شيءٍ عَن هذه الحقائق، اخباراتٌ إجماليَّةٌ، كلامٌ نُردِّدهُ ضمنَ تَصوُّرات ضَيقة جِدّاً بحُدود ضيقٍ عُقُولنا، كُلُّ ذلكَ يحتاجُ إلى مكان، فالمكانُ وعاءُ الأشياء.
الزَّمانُ ما هُوَ؟ الزَّمانُ وعاءُ المكان، الزَّمانُ الحقيقةُ الأوسَع، ومن هُنا تأتي الرُّموزُ القُرآنيّةُ الَّتي تتحدَّثُ عَن الحقيقة المُحَمَّديَّة وتتحدَّثُ عَن مَظاهرها العُظمى عَن مُحَمَّد وآل مُحَمَّد صَلَوَاتُ اللّه عَلَيْهِم، هذه الرُّموزُ تأتي زَمانيَّةً دائماً في الكتاب الكريم، لأنَّهُ على صَفحة الوجود فإنَّ الزَّمانَ الحقيقةُ الأوسَع..
أمَّا المكانُ فَهُوَ وعاءُ الأشياء، فالمكانُ أوسعُ من الأشياء إنَّهُ المجالُ الَّذي تتحرَّكُ فيه الأشياء، وتستقرّ فيه الأشياء، كُلُّ الأشياء كُلُّ الموجودات، على اختلاف أصنافها ومراتبها، الزَّمانُ أوسعُ منَ المكان، فالمكانُ وعاءُ الأشياء، والزَّمانُ وِعاءُ المكان، العلاقةُ ما بينَ المكانِ والزَّمان هي الَّتي تظهرُ آثارُها، نَحْنُ نُدركُ بعضَ آثارها..
في (علل الشَّرائع) للصَّدوق، المتوفَّى سنة (381) للهجرة، طبعةُ مؤسَّسة شمس الضُحى - إيران/ الجزء الثَّاني، حديثٌ طويلٌ مُفصَّلٌ رواهُ الصَّدوقُ: **عَن صَباحٍ المُزَنِي، وسَدِيرٍ الصَّيرَفِي وَمُحمَّد بنِ النُّعمَانِ الأَحوَل، وعُمَر بنِ أُذَيْنَة، عَنْ إمَامنَا الصَّادِقِ صَلَوَاتُ اللَّه وَسَلامُهُ عَلَيْه** - هؤلاء جَميعاً كانوا حاضرينَ في مَجلس الصَّادق صَلَوَاتٌ وسلامٌ عَلَيه، الحَديثُ عَن معراج النَّبي صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وعَن صَلاته المعراجيّة، حيثُ صلَّى في المسجدَ الأقصى ما بَعدَ العَرش، المسجدُ

الأقصى النُّقطةُ الأقصى، هذا العُنوانُ الَّذي يُطلقهُ الـمُسلمونَ على مَسجدٍ في فلسطين ليسَ صَحيحاً، المسجدُ الأقصى ما فَوقَ العرش، اللّهُ هُوَ الَّذي يقولُ لهُ لَمّا أمرَهُ أن يَقرأ سُورة التَّوحيد فَقالَ لهُ: **اقْرَأْ "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد"، كَمَا أَنْزِلَتْ فَإِنَّهَا نِسْبَتِي وَنَعْتِي** - فسورةُ التَّوحيد إذا صحَّ هذا التَّعبير؛ إنَّها الوثيقةُ الَّتي تُعَرِّفنا باللّه، نَعتي صِفَتي، ونِسبَتي إنَّهُ التَّعريفُ بي، ثُمَّ قالَ لهُ في الرَّكعة الأخرى أن يَقرأ بَعدَ الحَمد سُورَة القَدْر، النَّبي الأعظمُ هُوَ الَّذي يقول: **ثُمَّ قَالَ لِي: اقْرَأْ "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ" فَإِنَّهَا نِسْبَتُكَ وَنِسْبَةُ أَهْلِ بَيْتِكَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَة** - مرّ علينا في حديث الكساء اليمانيّ لَمَّا سَألَ جبرائيلُ اللّه سُبحانَهُ وتعالى عَن الَّذينَ هُم تَحتَ الكِساء فماذا أجابَهُ اللّه؟ (هُم فَاطمةُ وأَبُوهَا - نُسبوا إليها - وبَعلُها وبَنُوهَا)، قُرآنُهم حَديثُهم تَفسيرهُم رواياتُهم هندسةٌ دقيقةٌ جدّاً..

سُورةُ القَدْر أوضَحُ وَثيقةً على استمرارِ وَدَوامِ القيمُومَة الفَاطميّة، ففَاطمةُ هي القَيمةُ ولذا النِّسبةُ إليها..

في (الكافي الشَّريف)، الجزءُ الأول من طبعة دار الأسوة/ طهران - إيران/ الصَّفحة الثَّانية بعدَ الخمس مئة، "بابُ مَولد النَّبيّ وَوَفاته صلَّى اللّهُ عَلَيْه وآله"، الحديثُ التَّاسع: **بِسَنَده** - بسند الكُليني - **عَنْ إِمَامنَا الصَّادق صَلَوَاتُ اللَّه عَلَيْه: إِنَّ اللَّهَ كَانَ إِذْ لَا كَان** - لا يوجدُ شيء (**كَانَ اللَّه وَلَم يَكُن مَعَهُ شَيء**) - **فَخَلَقَ الكَانَ وَالْمَكَان** - فَخَلَقَ الكَانَ؛ الزّمان، الكانُ هُو وِعاءُ المكان، والمكانُ هُوَ وِعاءُ الأشياء - **وَخَلَقَ نُوْرَ الأَنْوَار الَّذي نُوِّرت منْهُ الأَنْوَار، وَأَجْرَىٰ فيْه من نُوْره الَّذي نُوِّرت منْهُ الأَنْوَار وَهُوَ النُّورُ الَّذي خَلَقَ منْهُ مُحَمَّداً وَعَلِيّاً، فَلَم يَزَالا نُوْرَيْن أَوَّلَيْن إِذْ لَا شَيء كُوِّنَ قَبْلَهُمَا** - كانت الحقيقةُ المحمّديّةُ بعدَ أن خَلقَها اللّه ولَم يَكُن مَعها شيء، بعدَ ذلكَ تشيّأت الأشياء - **فَلَم يَزَالا يَجْرِيان** - في المظَاهر والمراتب والتَّجلّيات - **طَاهرَيْن مُطَهَّرَيْن فِيْ الأَصْلَاب الطَّاهرة حَتَّىٰ افْتَرَقَا فِيْ أَطْهَر طَاهرَيْن فِيْ عَبْد اللَّه وَأَبِي طَالب** - فَعبدُ اللّه والدُ رَسُول اللّه وأبو طَالبٍ والدُ أَمير الْمُؤْمنيْن، هذانِ السيدانِ العَظيمان هُما أشرفُ البشرِ من بعدِ الأئمّة المعصومينَ الأربعةَ عشر..

فالزَّمانُ خُلقَ قبلَ المكان، لأنَّ الزَّمانَ وِعاءُ المكان، المكانُ بِحاجةٍ إلى وِعاء، وِعاؤهُ الزَّمان، وإلَّا لن تَنتَظمَ حركةُ الأشياء، وحتَّى سُكونُ الأشياء لن يَكُونَ مُنتَظماً في وعاء المكان من دُونِ أن يتحقَّقَ وِعاءُ الزَّمانِ قبلَ أن يتحقَّقَ وِعاءُ المكان..

الزَّمانَ هُوَ المفهومُ الأوسعُ في ثقافة العترَة الطَّاهرة، ولذا فإنَّ الرُّموزَ القُرآنيّةَ الَّتي تُشيرُ إلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللّهِ عَلَيْهِم تأتي زَمانيّةً في الأعمِّ الأغلب، هذا لا يعني أنَّهُ لا تُوجدُ رُموزٌ في القُرآنِ تُشيرُ إليهم لَم تأتِ بصيغةٍ زَمانية..

في أحاديثنا؛

- "**القَدْر**"؛ يُشيرُ إلى اللّه.

- "**والليلةُ**"؛ تُشيرُ إلى فَاطمَة..

فليلةُ القَدْرِ هي لَيلةُ اللّه إنَّها فَاطمةُ الزَّهراء صَلَوَاتُ اللّه وسَلامُهُ عَلَيْهَا، رُموزٌ هذه، إذا أردنا تفكيكها فلابُدَّ أن نَعُودَ إلى أصلِ حكاية الخَلْق وكيفَ بَدأ الخَلْق..

مسألةٌ مهمَّةٌ جدّاً: في رواياتنا أئمَّتُنا صَلَوَاتُ اللّه عَلَيْهِم يَقُولُونَ لنا: "إذا أردتُم مُحاجَجةَ مُخالفينا، مُحاجَجةَ نواصبِ سقيفةِ بني ساعدة حاجِجُوهُم بِسُورة القَدْر"، قطعاً هذا الموضوعُ بحاجةٍ إلى تفصيلٍ في القول..

حينما نتحدَّثُ عَن دينٍ وعَن أيِّ دِين، ابحثوا في كُلِّ أديان الأرض بغضِّ النَّظرِ هل هيَ أديانٌ نزلت منَ السَّماء أم أنَّها أديانٌ اصطنعها أهلُ الأرض، هل هيَ أديانُ الأنبياء أم هيَ أديانُ رِجال الدِّين، وعلى طول الخط رِجالُ الدِّين هُم أعداءُ الأنبياء، هُم أعداءُ الأئمَّة والأوصياء، والأمرُ واضحٌ أمامَ أعيُننا في الواقع السُّنّي وفي الواقع الشِّيعي، لن تَجدوا ديناً يُجردُ نَفسَهُ منَ الغَيب، سوفَ لن يُصبحَ ديناً، الدِّينُ لابُدَّ أن يَكُونَ في جهةٍ من جِهاته لابُدَّ أن يكونَ غيبياً، ودِينُنا نَحنُ دينُ الإسلامِ دينٌ غَيبي، غَيبيَّةُ الدِّينِ لا يُمكنُ أن تنتفيَ في مقطعٍ زماني، لابُدَّ للغَيبِ أن يبقى موجوداً، ولابُدَّ للغَيبِ أن تَظهرَ آثارهُ في أيِّ دِين..

السؤالُ هنا: أَيْنَ الوَجْهُ الغَيبي فِيْ دِيْننَا بَعْدَ رَسُول اللّه؟!

السورةُ الَّتي تُخبِرنا عن الوجه الغَيبي للإسلامِ هي سُورةُ القَدْر، القُرآنُ مَشحونٌ بالحديث عن الغَيْب، لكنَّني أتحدَّثُ عَن الجِهة الدِّينيّة الواضحة الَّتي تبقى مُلازِمةً لهذا الدِّين إلى يوم القيامة، القُرآنُ يتحدَّثُ عَن لَيلَة القَدْر وهي لَيلةٌ ثابتةٌ في الماضي وفي الحاضِر وفي المستقبل، ماذا يَجري في هذه اللَّيلة؟

بِحسبِ القُرآن: ﴿**تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ** - بأجمعهم لا يوجدُ استثناء - **وَالرُّوحُ فِيهَا**﴾، حتَّى إذا فسّروا الرُّوحَ بروح القُدُس، أو فَسّروا الروح بجبرائيل، أو فَسّروا وفَسّروا، ليسَ مُهِمّاً لا أريدُ أن أخوضَ في نقاش بِخُصوص هذا المطلَب، في رواياتنا الرُّوحُ تَجَلٍّ من تَجَلِّيات فَاطمَة - **بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْر**﴾، هذا أمرٌ لابُدَّ أن يتحقَّقَ وبِنَظمٍ عَجيبٍ، الملائكةُ بِقَضِّهم وقَضيضِهم يَتنزَّلونَ، على مَن يَتنزَّلون؟ هَل يتنزَّلونَ على لا شيء؟ هَل هذا الكَلامُ مَنطقي والقُرآنُ يُخاطبُنا من أنَّ الإنزالَ في لَيلَة القَدْر؛ ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۞ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ** - كُلُّ هذا مُقَدِّماتٌ للنَّتيجةِ الَّتي تُبَيِّنُها السُورة - **تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۞ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ**﴾، "**الفَجْر**"؛ عُنوانٌ لقائمِ آلِ مُحَمَّد..

لابُدَّ من جِهةٍ يكونُ التَّنزُّلُ لأجلِها وإليها، فهذا القُرآنُ تَحدَّثَ عن التَّنزُّل كثيراً، لن تَجدوا موطناً واحداً في القُرآنِ أنَّ تَنزُّلاً حَدثَ بأيِّ مُستوىً من المستويات على لا شيء لا يُمكنُ هذا، هذا لَغوٌ وسفاهَةٌ، فهذا التَّنزُّل باتِّجاهِ أيِّ جِهة؟ هذا التَّنزُّلُ باتِّجاهِ قائم الدِّين، الدِّينُ لَهُ قَيمةٌ ولهُ قائمٌ؛

- هُناك قائمٌ بأمرِ الدِّين، وقائمٌ على أمر الدِّين.

- وهُناكَ قَيمةٌ على أمر الدِّين، وقَيِّمةٌ بأمرِ الدِّين.

هذا التَّنزُّلُ يكونُ في سِياقِ قَيمُومَة القَيمة على أمر الدِّين والقَيِّمَة بأمرِ الدِّين، يكونُ على القائمِ على أمرِ الدِّين والقائم بأمر الدِّين، إنَّهُ إمامُ الزَّمان في كُلِّ زمان، وفي زماننا إنَّهُ الحُجَّةُ بنُ الحَسَن صَلَوَاتُ اللّه وسَلامُهُ عَلَيه.

هذا العنوانُ (**القَائمُ**)؛ ينطبِقُ بالأصالة على رَسُول اللّه أوَّلاً، وينطَبِقُ على عليٍّ وعلى فَاطمَةَ وعلى الحَسَنِ والحُسَينِ وهكذا إلى إمامِ زماننا صَلَوَاتُ اللّه وسَلامُهُ عَلَيْه، لكنَّ العُنوانَ التصقَ بإمامِ زماننا لأنَّهُ هُوَ صاحب القيام..

نقرأُ روايةً في سياقِ هذا التَّنزيل، هذه الرِّوايةُ تُقرِّبُ لنا فكرةَ التَّنزيل، وإلَّا فإنَّ تَنزيلَ لَيلَة القَدْر أعظمُ من هذا الَّذي تتحدَّثُ عَنْهُ هذه الرِّواية، التَّنزيلُ الَّذي في الرِّواية تَنزيلٌ ليسَ مَحدوداً بزمانٍ مُعيَّن، في كُلِّ آنٍ هذا التَّنزيلُ قائمٌ، لكنَّ التَّنزيلَ الأعظمَ هُوَ الَّذي يُعنونُ بِعُنوان ليلة القَدْر.

في (البرهان) لهاشم البحراني، جامعٌ من أهمِّ جوامعِ أحاديثنا التَّفسيريَّة، الجزءُ الثَّامن، طَبعة مُؤسَّسة الأعلمي/ بيروت - لبنان/ الصَّفحة الثَّانية والأربعين بعدَ الثَّلاث مئة، الحديثُ الثَّامنُ والعشرون، والروايةُ موجودةٌ أيضاً في الجزء الثَّاني من (تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطَّاهرة)، للمُحدِّث شرف الدِّين الاسترابادي النَّجفي، وموجودةٌ أيضاً في الجزء الخامس والعشرين من (بحار الأنوار) للمجلسي، وأساساً أُخذت الرِّوايةُ من (أمالي الطوسي)، لكنَّ بعضَ نُسخ الأمالي لا تُوجدُ فيها هذه الرواية، نقلوها عن نُسخٍ قديمة، الروايةُ موجودةٌ في كُتُبنا: **بِسَنَده، عَنْ عَبْد اللَّه بن عَجْلان السَّكُونِي قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَر** - إنَّهُ الباقرُ صَلَوَاتُ اللّه عَلَيْه - **يَقُول: بَيْتُ عَلِي وَفَاطمَة من حُجْرَة رَسُول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهَ وَآله** - الحديثُ هُنا في أجواء الملكوت - **وَسَقْفُ بَيْتِهِم عَرْشُ رَبِّ العَالَمِين وَفِي قَعْرِ بُيُوتِهِم قُرْجَةٌ مَكْشُوطَةٌ إِلَى العَرْش مِعْرَاجُ الوَحي وَالْمَلَائِكَةُ تَنَزَّلُ عَلَيهِم بِالْوَحي صَبَاحَاً وَمَسَاء وَكُلَّ سَاعَةٍ وَطَرْفَةَ عَيْن** - إنَّهُ مستوىً من

مُستويات التَّنزُّل إذا ما تَبصَّرنا في هذا المضمون فإنَّنا نَستطيعُ أن نَتصوّرَ بالإجمال عَظَمَة التَّنزُّل في لَيلَة القَدْر، وإلَّا فإنَّ هذا يَحدُثُ مَعهُم كُلَّ طَرفة عَين - **وَالْمَلائِكَةُ لَا يَنْقَطِعُ فَوجُهُم فَوجٌ يَنزِل وَفَوجٌ يَصْعَد، وَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَشَفَ لِإِبْرَاهِيمَ عَنْ السَّمَاوَاتِ حَتَّى أَبْصَرَ العَرْشَ وَزَادَ اللَّهُ فِي قُوَّةِ نَاظِرِه** - ولا مُقايسة بين إبراهيم الَّذي هُو من شيعة نوح وبين مُحمَّد وآل مُحمَّد لكنَّ الأئمَّة ماذا يفعلونَ لهذه الأُمَّة الضَّالَّة؟! - **وَإِنَّ اللَّهَ زَادَ فِي قُوَّةِ نَاظِرِ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وفَاطِمَةَ والحَسَنِ والحُسَينِ وكَانُوا يُبْصِرونَ العَرْشَ وَلَا يَجِدونَ لِبُيُوتِهِمْ سَقْفاً غَيْرَ العَرْشِ، فَبُيُوتُهُم مُسَقَّفَةٌ بِعَرْشِ الرَّحْمَـنِ وَمَعَارِجُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فَوْجٌ بَعْدَ فَوْجٍ لَا انْقِطَاعَ لَهُم، وَمَا مِنْ بَيتٍ مِن بُيُوتِ الأَئِمَّةِ مِنَّا** - الحديثُ عن الأئمَّة المعصُومينَ الأربعة عشر، والبيتُ الأوَّل هُوَ بيتُ فَاطمَة فالرِّوايةُ بدأت: (بيتُ عَليٍّ وفَاطمَة) - **إِلَّا وَفِيهِ مِعْرَاجُ الْمَلَائِكَةِ لِقَولِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: "تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِن كُلِّ أَمْرٍ سَلَام"، قَالَ: قُلْتُ: من كُلِّ أمر؟ قَالَ: بِكُلِّ أَمْرٍ، فَقُلْتُ: هَـذَا التَّنْزِيلُ؟ قَالَ: نَعَم** - لكنَّ التَّنزيلَ هذا يَحدُثُ في كُلِّ طَرفة عَين، التَّنزيلُ الَّذي تتحدَّثُ عنهُ سُورةُ القَدْر هذا التَّنزيلُ لا يُماثلهُ تنزيلٌ في الكِتابِ كلِّه، التَّنزيلُ الَّذي حدَّثتنا الروايةُ الَّتي قرأتُها عليكُم تَنزيلٌ لأفواجٍ من الملائكة.

أمَّا سُورة القَدْر تتحدَّث عن الملائكة بأجمعهم: ﴿**تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ**﴾، هذه الكَينُونَةُ الغَيبيَّةُ تتَّصلُ بِمَن؟ مَن الَّذي يدَّعي أنَّهُ يتواصلُ معَ هذه الكَينُونَة الغَيبيّة في كُلِّ لَيلَة قَدْر في كُلِّ شَهر رمضان في كُلِّ سنة؟ من هُنا فإنَّ سنة إمامِ زماننا أتحدَّثُ عن السنة القائميَّة تبدأ من اليوم الثَّالث والعشرين من شهرِ رمضان وحتَّى الصيحةُ الَّتي هي من علامات الظُّهور الشَّريف ومن العلامات الحتميّة إنَّها تكونُ صبيحةَ يوم الثَّالث والعشرين من شهرِ رمضان، إنَّها بدايةُ السنة القائميّة، كُلُّ هذه المُجريات تجري تحتَ خيمة القَيمُومَة الفَاطميّة، إنَّها لَيلةُ القَدْر إنَّها فَاطمةُ صَلَواتُ اللَّه عَلَيْها، نَحنُ هُنا في محضرِ فَاطمَة حينما نقرأُ سُورة القَدْر..

ما تتحدَّثُ عنهُ سُورةُ القَدْر إنَّها تتحدَّثُ في جِهة ترتبطُ بعالَم النُّور بالملأ الأعلى، وإن كانَ الحديثُ يرتبطُ بعالم التراب أيضاً، لأنَّ التَّنزُّل يرتبطُ بجهة من جهاته في عالم التُّراب، لكنَّهُ تَنزُّل من النُّور إلى النُّور، تَنزُّل من الكَينُونَة الفَاطميّة إلى الكَينُونَة المَهدَويَّة، مثلما هُوَ التَّعبير في المَثَل الأعلى في آية النُّور، الآيةُ الخامسةُ والثَّلاثون بعدَ البسملة من سُورة النُّور: ﴿**نُورٌ عَلَى نُورٍ**﴾، هُوَ هَذا تَنزُّلُ النُّورِ على النُّور، لكن بجهةٍ من الجِهات فإنَّ شُؤونَ العَالَم التُّرابي تُنَظَّمُ عبرَ هذا التَّنزُّل، الآجالُ، الأرزاقُ، التَّفاصيلُ المختلفةُ لشؤون العَالَم التُّرابي مثلما تقولُ الآيةُ الرَّابعةُ بعدَ البسملة من سُورة القَدْر: ﴿**مِن كُلِّ أَمْرٍ**﴾، من كُلِّ أمْرٍ؛ "من كُلِّ أمْرٍ نُوريٍّ، ومن كُلِّ أمرٍ تُرابيٍّ"، كُلُّ هذا يجري في أجواء خَيمَة القَيمُومَة الفَاطميّة.

في سُورة الإسراء، الآية التَّاسعة بعدَ البسملة: ﴿**إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً**﴾، فهذا القُرآنُ يَهدي للَّتي هي أقْوَم، ﴿**وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾، هذه هي الَّتي أقْوَم..

في سورة الكهف، بعدَ البسملة: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَاً**﴾ - الآيةُ الَّتي بعدها - **قَيِّماً لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيْداً مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً**﴾، اللَّحنُ هُوَ هُوَ الَّذي في الآية المُتقدِّمة الَّتي قرأتُها عليكُم من سورة الإسراء: ﴿**إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾ - ﴿**قَيِّماً**﴾ هذا هُوَ القُرآنُ، هذا الكتابُ الَّذي ليسَ فيه من عوج، الكلامُ هُوَ هُوَ، الجهةُ هي هي.

فَهذا القُرآنُ يكونُ كتاباً قَيِّماً حينما يَتعانَقُ معَ القَيِّمة، حديثُ الثَّقَلَين، حديثُ الكتابِ والعِترَة، كيفَ يكونُ ذلكَ؟ حينما نتمسَّكُ بِمواثيقِ بيعة الغدير، وهذا هُوَ الدِّينُ القَيِّمُ الَّذي يتحدَّثُ عنهُ قُرآنُ مُحمَّد وآل مُحمَّد المُفسَّر بتفسيرهم.

في سورة الأنعام، الآية الحادية والستِّين بعدَ المئة بعدَ البسملة: ﴿**قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** - هذا الصِّراطُ المستَقيم ما هُوَ؟ - **دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾، هذا هُوَ دينُ القَيِّمَة نَفسُهُ..

- **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّه رَبِّ العَالَمِين ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾، الكلامُ هُوَ هُوَ الَّذي في سورة البَيِّنة: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾.

في سورة التَّوبَة، الآيَة السَّادسة والثَّلاثين: ﴿**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمِ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**﴾، في أُفُق العبارة الآيةُ واضحةٌ تتحدَّثُ عن التَّقويم الزَّماني وعن التَّفاصيل المرتبطة به وعن الأشهر الحُرُم، ولكن في الأُفُق الرَّمزي فإنَّ الآيةَ تُشيرُ إلى سلسلة الأئمَّة الاثني عشر، والشُّهُور رُموزٌ للأئمَّة صَلَواتُ اللَّه وسَلامُهُ عَلَيهِم أجمَعين، ﴿**مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ**﴾، إنَّهُم العَليُّونَ الأربعة:"عليٌّ أميرُ المُؤمنين، عليٌّ السجَّادُ، عليٌّ الرِّضا، وعليٌّ الهادي"، وهذا لهُ دَلالتهُ وخصائصهُ.

موطنُ الشَّاهد هُنا حتَّى إذا أردنا أن نكتفي بأُفُق العبارة: ﴿**ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمِ**﴾، إنَّهُ الدِّينُ الَّذي ينتَظِمُ زَمانهُ ونَحنُ في أُفُق العبارة، فإنَّ الآيَةَ تتحدَّثُ عَن التَّقويمِ القَمَري، فإنَّ الدِّينَ ينتَظِمُ انتظاماً زَمانياً دقيقاً في الصَّلاة، في الصِّيام، في الحجِّ وفي سائر التَّفاصيل الأخرى، هُوَ هذا الدِّينُ القَيِّمُ نَفسُهُ الَّذي هُوَ دِينُ القَيِّمَة الَّذي ذُكِر في سورة البينة.

في سورة يُوسُف، الآية التَّاسعةُ والثَّلاثون بَعْدَ البَسملة في حوارِ يُوسُف النَّبيِّ معَ الَّذينَ كانوا مَعهُ في الحبس: ﴿**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ** - إنَّهُ يتحدَّثُ عَن ديانَة المصريّينَ في ذلكَ الزَّمان - **مَاتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُم مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّه أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾، إنَّهُ دِينُ الأنبياء، ما هُوَ بدين الأحبارِ والرُّهبان، تُلاحظونَ أنَّ الوصفَ هذا يتكرَّرُ واضحاً حينما يكونُ الحديثُ عن دينِ الأنبياء..

في سُورة الرُّوم، الآية الثَّالثة والأربعين بعدَ البسملة: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ**﴾، هذا هُوَ دِينُ النَّجاة إنَّهُ الدِّينِ القَيِّمُ الَّذي قُرآنهُ هُوَ الكِتابُ القَيِّم، وهذا الكِتابُ القَيِّمُ لن يكونَ قَيِّماً حتَّى يهدي لِلَّتي هي أقْوَم، والَّتي هي أقْوَم هي قَيِّمةُ الدِّين ودِينُها هُوَ الدِّينُ القَيِّم..

في سورة الروم، الآيةُ الثَّلاثون: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا** - في أحاديثنا الشَّريفة فإنَّ الفطرة الَّتي تتحدَّثُ عنها هذه الآية: "لَا إِلَه إِلَّا اللّه، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّه، عَلِيٌّ وَلِيُّ اللّه" - **لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾، تُلاحظُونَ أنَّ التَّعبير هذا يتكرَّر: ﴿**وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾، لا يعلَمونَ الدِّينَ القَيِّم الَّذي هُو دِينُ القَيِّمة، لأنَّ قَيِّمَةً عن اللّه هي الَّتي تكونُ قَيمومَتُها حافظةً لهذا الدِّين..

في حَديثِ المَعرِفَةِ بالنُّورانيَّة:

الجزءُ السَّادسُ والعشرون من (بحار الأنوار) للمجلسي، المتوفَّى سنة (1111) للهجرة، طبعةُ دار إحياء التُّراث العربي/ بيروت - لبنان/ حديثُ المَعرفة بالنُّورانيّة يبدأ من أوَّل الكتاب إنَّهُ الحديثُ الأوَّل، كلامٌ مُفصَّلٌ يقُولُه أميرُ المُؤمنين لسَلمانَ وأبي ذر، من جُملة ما قالَهُ أميرُ المُؤمنين صَلَواتُ اللَّه وَسَلامُهُ عَلَيه: **يَا سَلْمَانُ وَيَا جُنْدَب** - جُنْدَب أو جُنْدُب هُوَ اسمُ أبي ذر - **قَالَا: لَبَّيكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِين، قَالَ صَلَوَاتُ اللَّه عَلَيه: مَعْرِفَتِي بِالنُّورَانِيَّةِ** - لأنَّ سَلْمَانَ وأبا ذر جاءا يَسألانِ أميرَ

الْمُؤْمِنِيْن عن مَعرفته بالنَّورانيّة، وليسَ بالنُورانيّة - **مَعْرِفَةُ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، وَمعرِفَةُ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ مَعرِفَتي بِالنَّوْرَانيّة** - وهذه المعرفةُ بالنَّورانيَّة يُعَرِّفُها أميْرُ الْمُؤْمِنِيْن: **وَهُوَ الدِّيْنَ الخَالِصُ الَّذي قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: "وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّيْن حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِيْنُ الْقَيِّمَة".**
وَلايةَ مُحَمَّد وآل مُحمَّد صَلَوَاتُ اللَّه عَلَيهِم لها عُنوانان:
- **العُنوانُ الأَوَّلُ:** وَلايةُ عَلِيّ.
- **والعنوانُ الثَّاني:** وَلايةُ فَاطِمَة.
وفي جهة أُخرى من كَلامه صَلَوَاتُ اللَّه وسَلامُهُ عَلَيْه في الحديث نَفسه، الصَّفحة الثَّالثة من الجزء السَّادس والعشرين من (بحار الأنوار): **وَأَوَّلُنَا مُحَمَّدٌ وَأَوْسَطُنَا مُحَمَّدٌ وَآخِرُنَا مُحَمَّدٌ، فَمَنِ اسْتَكْمَلَ مَعْرِفَتِي فَهُوَ عَلَى الدِّيْنِ القَيِّم كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: "وَذَلِكَ دِيْنُ الْقَيِّمَة"** - فالدِّينُ القَيِّمُ هُوَ دِينُ القَيمة، إنَّما صَارَ ديناً قَيماً لأنَّ كتابَهُ لأنَّ قُرآنهُ قُرآنٌ قَيِّمٌ، لماذا؟ لأنَّهُ يهدي للَّتي هي أقْوَم، الَّتي هي أقْوَم هي صَاحبةُ الدِّين..
الباقرُ صَلَوَاتُ اللَّه وسَلامُهُ عَلَيه يَقُول وبِعبارةٍ صَريحةٍ من أنَّ القَيمةَ فَاطِمَة، حتَّى لو لَم تَكُن هذه الرِّوايةُ وأمثالُها موجُودةً فإنَّ الحقائقَ كُلَّها تَقُودُنا إلى فَاطِمَة برغمِ آنافنا:
في (تأويلُ الآياتَ الظاهرة في فضائل العتْرَة الطَّاهرَة)، للمُحدِّث شرف الدِّين الاسترابادي النَّجفي من أعلام القَرن العاشر الهجري، طبعةُ مؤسَّسة الإمام المهديّ/ قُمْ المقدَّسة/ الجزء الثَّاني، الصَّفحة الثَّلاثين بعدَ الثمان مئة، الرِّوايةُ عَن إمَامنا البَاقر صَلَوَاتُ اللَّه وَسَلامُهُ عَلَيْه، يحدِّثُنا بها جَابرٌ الجُعفي في تفسيرِ وتأويلِ سُورة البينة، موطن الحاجة: **"وَذَلِكَ دِيْنُ الْقَيِّمَة"، قَالَ البَاقرُ صَلَوَاتُ اللَّه عَلَيْه: هِيَ فَاطِمَة** - هي فَاطِمَة صَلَوَاتُ اللَّه عَلَيْها..
في الصَّفحة الحَادية والثَّلاثين بَعْدَ الثمان مئة، الحديثُ الثَّاني، الرِّوايةُ: **عَنْ أَبِي بَصِيْر، عَنْ إِمَامِنَا الصَّادِقِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْه فِيْ قَوْلِه عَزَّ وَجَلَّ: "وَذَلِكَ دِيْنُ الْقَيِّمَة"، قَالَ: إِنَّمَا هُوَ ذَلِكَ دِيْنُ القَائِم** - القَيمةُ فَاطِمَة..
هذا هُوَ الَّذي أَحَدِّثُكُم عنه؛
- الدِّينُ لهُ قيمةٌ هي قَيمةُ الدِّين والدِّينُ دينُها.
- ولهُ قائمٌ وهُوَ قائمٌ على أمر الدِّينِ وقائمٌ بأمر الدِّين..
أَلَا تَجدونَ أنَّ المضامينَ تتماسَكُ فيما بَينَها تَماسُكاً شديداً، وأنَّ الآياتِ تُشرِقُ مَعانيها بوضوحٍ حِينما نَضعُ الأحاديثَ المعصُوميّة بِجانبِها؟ بِناءٌ مُحْكَمٌ وهَندَسةٌ مُنقَطِعةُ النَّظير..